

مفهوم التفسير المقارن عند المفسرين

The concept of comparative exegesis among exegetes

أ.م.د. معنز قاسم محمد المعاضيدي

Asst. Prof. Muataz Qassem Muhammed (Ph. D.)

دكتوراه فلسفة أصول دين - تخصص حديث

PhD in Fundamentals of Religion - Hadith Specialization

إعداد الطالبة

مريم حامد محمد حسين

Prepared by the student

Mariam Hamid Muhammed Hussein

العراق / بغداد

Baghdad \ Iraq

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين محمد الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى اله وسلم وصحبه أجمعين. أما بعد:

ان علم التفسير من أشرف العلوم التي عُني بها العلماء لأنه الوسيلة لفهم كلام الله، والتعبد به على بصيرة. وقد أنار طريق التفسير أعلامٌ كبار، بذلوا جهدهم في استكشاف معاني القرآن، وبيان مراد الله تعالى من آياته، وذلك من خلال دراسة مقارنة تجمع بين المنهج التحليلي والمقارن، وقد حاولت من خلال هذا البحث الجمع بين التأصيل العلمي، والتحليل الدقيق في دراسة هذا المنهج من خلال بيان أهمية المقارنة ما بين آرائهم التفسيرية وأقوال المفسرين، وعرضها على الأدلة النقلية والعقلية، ثم استخراج القول الراجح استناداً لقواعد العلماء في هذا المجال الفني. وتكون البحث من المقدمة ومبحث واحد ويضم أربع مطالب، المطلب الأول: فقد تحدثت فيه عن التعريف بالتفسير المقارن. اما المطلب الثاني: فيكمن في بيان أهمية التفسير المقارن، واما المطلب الثالث: تحدثت فيه عن بيان منهج البحث في التفسير المقارن، اما المطلب الرابع: فضم الفرق بين التفسير المقارن والتفاسير الأخرى، اما الخاتمة فتحدثت ملخصتاً ما توصلت اليه من النتائج، وذكرت اخرًا قائمة المصادر والمراجع.

Research Summary:

All praise is due to Allah, Lord of the Worlds, and peace and blessings be upon the most honourable of creation and messengers, Muhammad the truthful and trustworthy, and upon his family and all his companions. To proceed:

The science of Qur'anic exegesis (tafsir) is among the most noble of Islamic sciences, to which scholars have devoted great attention, as it is the means of understanding the words of Allah and worshipping Him with insight and clarity. Leading scholars have illuminated the path of interpretation, striving to uncover the meanings of the Qur'an and to clarify what Allah, the Exalted, intended through His verses. This has often been achieved through comparative studies that merge both analytical and comparative methodologies.

In this research, I have sought to combine foundational scholarly principles with precise analysis, following a comparative approach between various interpretative views and the statements of exegetes, while also evaluating them against both transmitted and rational evidences. From this, I aimed to extract the most valid opinion based on the established rules of scholars in this specialised field.

The research comprises an introduction and a single main chapter, which is divided into four sections:

The first section discusses the definition of comparative exegesis.

The second outlines the importance of comparative exegesis.

The third presents the research methodology employed in this field.

The fourth distinguishes comparative exegesis from other forms of tafsir.

Finally, the conclusion summarises the key findings and results of the study, followed by a list of sources and reference.

المقدمة

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر بما ألهم والثناء بما قدم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ الآء أسداها، وتمام منن، والآها، والصلاة والسلام على البشير النذير، السراج المنير، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود، المحمود الأحمد، أبي القاسم محمّد، وعلى آله وصحبه الطيبين الأخيار، الطاهرين الأبرار الذين أذهب عنهم الأرجاس وطهرهم من الأذناس، وجعل مودتهم أجراً له على الناس.

أما بعد؛ فإنّ كتاب الله عز وجلّ، كتابٌ معجزٌ في لفظه ومعناه، قد اجتمع فيه من الهداية والبيان ما لا يوجد في غيره، فتشرفت القلوب والعقول بالتدبر في آياته، وكان علم التفسير من أشرف العلوم التي عُني بها العلماء لأنه الوسيلة لفهم كلام الله، والتعبد به على بصيرة. وقد أنار طريق التفسير أعلامٌ كبار، بذلوا جهودهم في استكشاف معاني القرآن، وبيان مراد الله تعالى من آياته، وذلك من خلال دراسة مقارنة تجمع بين المنهج التحليلي والمقارن. وقد حاولت من خلال هذا البحث الجمع بين التأصيل العلمي، والتحليل الدقيق، والتزام الإنصاف، والاحتفاء بأدب الحوار مع العلماء، راجئاً من الله أن يجعله عملاً خالصاً، وعلماً نافعاً، وسبباً في نيل مرضاته.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١ - يتيح التفسير المقارن للباحث اكتشاف الفروق عند المقارنة بين التفسيرين من حيث الاختيار والترجيح بين الأقوال.
- ٢ - المساهمة في تطوير منهج التفسير المقارن، يظهر كيف تعامل المفسرون مع النصوص وتعارض الأقوال، فدراسة الاختيارات والترجيحات من خلاله يعرف الباحث والقارئ على آليات الاختيار والترجيح وهل كانت تعتمد على السياق أو السنة، أو الأثر.
- ٣ - الدراسات المقارنة بين كتب التفسير محدودة نسبياً، وقلما نجد دراسات تناولت أحد المفسرين ومقارنته بالآخر، وخصوصاً بين إمامين من مدرستين مختلفتين، فهذا البحث يسد نقصاً في مجال الدراسات المقارنة.

أهمية اختيار الموضوع.

أهمية الموضوع تكمن من وجهات عدة.

١ - من جهة تحقيق جانب من دراسة «علم الاختيارات والترجيحات التفسيرية» من خلال الوقوف على تحليل ومقارنة اسباب تقديم بعض الأقوال وتفضيلها على غيرها، ومعرفة القول الضعيف من القوي، وعند الدراسة لهذا الموضوع يُسهم في تكوين فهم نقدي علمي لدراسة «الاختيار والترجيح التفسيري»، مما يؤدي الى الوصول لأحكام عملية، في تفسير الآية نفسها، فبعد معرفة الراجح بادلته القوية الصحيحة يعد هذا القول تفسيراً حقيقياً للآية.

٢ - ومن حيث التفسير فانه وضوح وبيان لمنهجين مختلفين من قرنين مختلفين، مما يؤدي الى تطوير رؤية تفسيرية تاريخية: وهي كيفية تطور التفسير من منهجية المأثور والتراث الى التجديد، وهذا يُبرز اضافة نوعية ل «التفسير المقارن» الذي بحاجة الى إثراء.

٣ - ومن حيث المفسرون والباحثون للاختيارات والترجيحات، فإنه يسهم في فهم ضوابط «الاختيار والترجيح» وتطبيقها عملياً، وطالب العلم؛ يستوضح فيه بروزاً لشخصيته أثناء «الاختيار والترجيح» بين الأقوال؛ لأن فائدته تكون من حيث الموازنة والتفكير بين الأقوال للاستدلال بأدلة قوية، ليأتي تربية القارئ على احترام التنوع التفسيري بدلا من الجمود على قول واحد، مما يجعل التفسير علماً مأثوراً متجدداً، وستوضح الدراسة هذا المقصد إن شاء الله.

٤ - وهذا العنوان هو جزء مستل من رسالتي للماجستير الموسومة بعنوان «الاختيارات والترجيحات في تفسيري الطبري (٣١٠هـ) والطاهر بن عاشور (١٣٩٣هـ) من الآية (٦١) من سورة المائدة الى آخر سورة الأنعام» دراسة مقارنة». بإشراف الاستاذ المساعد الدكتور: معتر قاسم محمد، الجامعة العراقية، كلية العلوم الاسلامية /بغداد/ ٢٠٢٥.

اهداف البحث:

ومن اهداف البحث هي:

- ١ - بيان مفهوم التفسير المقارن واهميته في علم التفسير.
- ٢ - تحليل منهج كل مفسر، من خلال ابراز خصائص التفسير عند الامامين في ترجيحهما واختيارهما، وفق منهج التفسير المقارن.
- ٣ - خدمة التفسير المقارن من خلال تقديم دراسة تطبيقية في سورتين غنيتين بالقضايا الشرعية والاجتماعية والعقدية.

٤ - تقديم نتائج علمية تفيد الباحثين وطلاب العلم، في دراسة التفسير المقارن دراسة منهجية تطبيقية.

الدراسات السابقة:

١ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

٢ - التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية: محمود عقيل معروف العاني، تح: أصل الكتاب اطروحة دكتوراه في فلسفة أصول الدين تخصص (تفسير)، بإشراف: الدكتور عبد القادر عب الحميد، جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

٣ - تفسير المقارن دراسة تأصيلية - المشني، تأليف د. مصطفى إبراهيم المشني، مجلة الشريعة والقانون، ٢٠٠٦م، قسم التفسير.

٤ - مفهوم التفسير المقارن نشأته وأهميته وجهود العلماء فيه، تأليف: عبد القادر القيسي، مجلة كلية الشريعة، قسم البحوث والرسائل العلمية، كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد.

٥ - التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق: روضة عبد الكريم فرعون، بإشراف: أ. د فضل حسن عباس، الطبعة الأولى، دار النفائس - الأردن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م. خطة البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث أن تكون على النحو الآتي: مقدمة، ومبحثين، وخاتمة، ومصادر ومراجع.

المقدمة: تناولت فيها بالبيان والتوضيح عن أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه والدراسات السابقة، ومنهجي في البحث، وخطة البحث.

المبحث الأول: مفهوم التفسير المقارن ومنهجه، (وفيه مطلبين).

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير المقارن (وفيه مطلبين).

أسأل الله أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل الخير فيه لقارئه والمطلع عليه، إن ربنا لسميع الدعاء.

وما توفيقي إلا بالله، ولا حوله ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على رسول الله واله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المبحث الأول: مفهوم التفسير المقارن ومنهجه.

المطلب الأول: التعريف بالتفسير المقارن.

إن مصطلح (التفسير المقارن) الذي هو أصله مركب يتكون من كلمتين: «التفسير» و «المقارن» إذ لا يمكن بيانه الا بالرجوع الى معرفة معاني جزئيه، ولذا سأقوم أولاً ببيان معنى التفسير؛ ومن ثم أنتقل الى توضيح وشرح المقارن.

اولاً: مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح.

١ - التفسير لغةً: التفسير أصل مادته اللغوية مأخوذة من (فَسَرَ)، وهي أن «الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه، من ذلك: الفَسْر، يُقال: فسرتُ الشيء وفسرته، وفسره يفسره فسراً، وفسره تفسيراً»^(١)، وهو كشف المراد عن اللفظ المشكل؛ مما يفيد أن الجذر اللغوي للتفسير يدور حول الكشف والإبانه، وإظهار ما كان خفياً أو مُبهمًا، ويُبرز الصلة الوثيقة بين التفسير وإزالة الغموض عن المعنى، ويؤكد أن التفسير قائم على توضيح المراد وإبراز المقاصد والمعاني الكامنة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾^(٢). وعليه، فإن التفسير في دلالاته اللغوية ينهض بوظيفة الإيضاح لما استتر، والتفصيل لما أُجمل، وهو الأساس الذي تُبنى عليه الدلالات الاصطلاحية في علوم التفسير والبيان.

٢ - أما التفسير اصطلاحاً: لقد تناول علماء التفسير بمفهومه الاصطلاحية بكثرة، فأوردوا له تعريفات متعددة تبين تنوع وجهات نظرهم ومناهجهم في فهم كتاب الله تعالى و هذا التنوع في تعريفاته يعكس غنى هذا العلم وتعدد أبعاده، مما يجعل من دراسة هذه المصطلحات ضرورة لفهم طبيعة التفسير وأهدافه، وسأعرض باختصار جملة من هذه المفاهيم منتقياً منها ما هو أوثق صلة بموضوع دراستنا وأقربها على المقصود: عرف التفسير بأنه: «علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل

(١) كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ)، تح: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (فسر)، (٢٤٧/٧)، و تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهرى الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م، مادة (فسر)، (٢٨٣/١٢)، ومقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، مادة (فسر)، (٥٠٤/٤).

(٢) سورة الفرقان الآية: ٣٣.

عليها حالة التركيب»^(١).

وعرف أيضا على أنه: «علم نزول الآية وسورتها وأقاصيصها والإشارات النازلة فيها ثم ترتيب مكّيها ومدنيها ومحكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها وخاصها وعامتها ومطلقها ومقيدها ومجملها ومفسرها»^(٢).

وكما عرف بأنه: «علم يبحث فيه عن القرآن الكريم من حيث دلالاته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية»^(٣). ويبدو أن هذا التعريف أوجه التعريفات وأقربها إلى الصواب.

ثانيا: مفهوم المقارن في اللغة والاصطلاح.

١ - المقارن لغة: تُعدُّ «المقارنة» من المصطلحات ذات الحضور البارز في مختلف مجالات المعرفة، نظراً لارتباطها بالموازنة بين طرفين أو أكثر على جهة الاشتراك أو الافتراق. ولتكوين تصور دقيق عن هذا المفهوم، يُستحسن الرجوع إلى الجذر اللغوي الذي ينبني عليه، واستجلاء ما يتضمنه من دلالات أصلية.

فقد بينت المعاجم اللغوية أن مادة (قرن) تدور على أصلين اثنين: «أحدهما يدل على جمع شيء إلى شيء، والآخر يدل على نتوء بقوة وشدة»^(٤)، وهي دلالة تجمع بين المقارنة من جهة المصاحبة، والمقارنة من جهة التلازم والالتحام.

وتُعزّز هذه الدلالة ما جاء في بعض المعاجم من أن المقارنة تفيد المزوجة والمصاحبة والمرافقة، كما في قولهم: «قرن الشيء بالشيء: إذا ضمّه إليه»، وأن «القرين» هو المصاحب الدائم، و «القرن - بالفتح - المثل في السن، والقرن - بالكسر - المثل في الشجاعة»^(٥)، وكلها معانٍ تؤكد الاقتران والمماثلة، وهي الأسس المعرفية لفكرة المقارنة. ويؤكد هذا المعنى

(١) البحر المحيط في التفسير: أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ١٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، ط: ١، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ، (٢٦/١).

(٢) البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١هـ]، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م، (١٤٨/٢).

(٣) مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ٣، (٣/٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة: لأبن فارس، مادة (قرن)، (٧٦/٥).

(٥) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م، مادة (قرن)، (٢١٨١/٦).

ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (٣٨).^(١) إذ استخدم لفظ «القرين» ليدل على الملازمة التامة والمصاحبة المستمرة، وهو مما ينسجم مع المعنى الجوهرى للمقارنة في الاستعمالين اللغوي والعلمي.

٢ - أما المقارن اصطلاحاً:

عند النظر في المعاجم اللغوية القديمة، يتبين أنها لم تُفصّل في بيان المعنى الاصطلاحي للفظ «المقارن»، إذ اقتصر استعمالها غالباً على الدلالة اللغوية العامة، دون التعرض للمعنى الاصطلاحي المستعمل في العلوم المعاصرة، كالتفسير المقارن أو الدراسات المقارنة. ومع هذا، يُلاحظ إلا ما أورده الفيروز آبادي في معجمه عند قوله: «ودور قرائن: يستقبل بعضها بعضاً»^(٢)، وهو ما قد يفهم منه وجود دلالة على احتمال المقابلة بين شيئين^(٣).

وكذلك لم يتطرق أحد من العلماء إلى بيان المعنى الاصطلاحي للمصطلح هذا بوصفه دالاً على الموازنة بين شيئين أو أكثر، ومقابلة الآراء بهدف الوصول إلى نتيجة تُظهر التمايز بين الأوجه من حيث التشابه والاختلاف، مع توجيه تلك الأقوال ووزنها بالأدلة المحكمة؛ باستثناء ما ورد في بعض المعاجم الحديثة، لا سيما المعجم الوسيط، حيث جاء في تعريفهم للمقارن بقولهم: «(قارنه) مقارنة وقراناً صاحبه واقترن به، وبين القوم: سوى بينهم، وبين الزوجين: قراناً جمع بينهما، (موازنة)، والشيء بالشيء: وازنه به (محدثة)، وبين الشيئين أو الأشياء: وازن بينها، فهو مُقارن، ويقال: الأدب المقارن، أو التشريع المقارن (محدثة)»^(٤). والمقصود بالمعنى الاصطلاحي هنا، هو ما استقر عليه العمل في عرف المفسرين، أو ما اصطلاح عليه أهل الفن

(١) سورة النساء الآية: ٣٨.

(٢) القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، (١٢٢٤).

(٣) ينظر: التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية: محمود عقيل معروف العاني، تح: أصل الكتاب اطروحة دكتوراه في فلسفة أصول الدين تخصص (تفسير)، بإشراف: الدكتور عبد القادر عب الحميد، جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م، (٣٣).

(٤) المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: ٢ [كُتِبَتْ مقدمتها ١٣٩٢هـ = ١٩٧٢م]، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت، (٧٣١/٢).

في مجال علم التفسير. ومن الملاحظ أن المفسرين – وإن لم يستعملوا هذا المصطلح بصيغته الحديثة إلا أنهم قد مارسوا مضمونه تطبيقياً، حين عرضوا الأقوال المختلفة في تفسير الآية، ثم رجّحوا بينها مستندين إلى القرائن والدلالات. وبناءً على ما سبق، يُفهم من دلالة «المقارنة» أنها تعني: الجمع بين شيئين في موضع واحد، وربط أحدهما بالآخر، ومقابلتهما لتبرز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.

فعملية المقارنة تتضمن النظر في الشيين بعين التحليل، وإخضاعهما لميزان العلم والنقد المنهجي، بهدف التمييز بين الرأي الراجح والمرجوح، وبين القول السديد وغير السديد^(١). و بالاعتماد على ما سبق بيانه من التعريفات اللغوية والاصطلاحية لكل من «التفسير» و «المقارن»، لا بد من أن انتقل إلى تحديد مفهوم «التفسير المقارن» باعتباره تركيباً وصفيّاً يجمع بينهما. ويجب التنبيه إلى أن مصطلح «المقارن» بالمعنى الاصطلاحي الذي شاع في مجالات الأدب والنقد والبلاغة بمعنى «الموازنة»، لم يرد بلفظه في كتابات المفسرين الأوائل، ولا في مصنفات المتقدمين من علماء التفسير وعلوم القرآن. ومع ذلك، فقد تناول بعض المعاصرين ضمن دراساتهم الحديثة عند حديثهم عن مناهج التفسير وأنواعه، وخصوصاً له حيزاً من البحث والاهتمام. فسأذكر بإيجاز أبرز ممن تناول تعريف هذا المصطلح.

قال الشيخ الدكتور أحمد الكومي: «هو بيان الآيات القرآنية على ما كتبه جمع من المفسرين بموازنة آرائهم والمقارنة بين مختلف اتجاهاتهم، والبحث عما عساه يكون من التوفيق بين ما ظاهره مختلف من آيات القرآن والأحاديث، وما يكون ذلك مؤتلفاً أو مختلفاً من الكتب السماوية الأخرى»^(٢).

وعرفه الدكتور فهد الرومي بقوله: «فهو أن يعمد المفسر إلى جملة من الآيات في موضع واحد في سورة واحدة، يورد أقوال المفسرين السابقين ويوازن بينهما ويقارن، وينقد الضعيف ويؤيد الصحيح»^(٣).

(١) ينظر: التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية: لمحمود عقيل معروف العاني، (٣٤).

(٢) التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: للدكتورين أحمد السيد الكومي و محمد احمد يوسف القاسم، دار الهدى – القاهرة، ط: ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢، (١٧).

(٣) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، (٨٦٢/٣).

وقال الدكتور أحمد جمال العمري: «وهو التفسير القائم على الموازنة، حيث يعتمد فيه المفسر إلى جملة من الآيات القرآنية في مكان واحد، ويستطلع آراء المفسرين متتبعاً ما كتب في تفسير تلك الجملة من الآيات، سواء كانوا من السلف أم كانوا من الخلف، وسواء كان تفسيرهم من التفسير النقلي أو من التفسير العقلي، ويوازن بين الاتجاهات المتباينة، والمشارب المتنوعة، فيما سلكه كل منهم في تفسيره، وما انتهجه في مسلكه، فيرى من كان منهم متأثراً بالخلاف المذهبي، ومن كان منهم معبراً عن آراء فرقة معينة أو مذهب من المذاهب»^(١).

المطلب الثاني: أهمية التفسير المقارن.

تتبع أهمية المنهج المقارن في التفسير من خلال استجابته لحاجات الأمة المتجددة في فهم النصوص القرآنية، بما يواكب تحولات الفكر والواقع عبر العصور. ولأنني بصدد دراسة هذا المنهج، فإنني أبتغي من خلال هذا التناول إبراز معالم المنهج المقارن في ضوء المعايير العلمية الرصينة، وبيان أثره في فتح آفاق تفسيرية أكثر توازناً، تزاحم بين أصالة الموروث التفسيري، ومتطلبات التحليل النقدي المعاصر، وبذلك، لا تنحصر أهمية هذا التفسير في كونه طريقة للعرض والموازنة فحسب، بل تتعداه - كما سيتبين في هذا البحث - إلى كونه وسيلة فعالة في ترسيخ التفسير الاجتهادي القائم على الحجة، والمرتبطة بسياق الخطاب القرآني ومقاصده العامة، من خلال الوقوف على كيفية استثمار المفسرين له، والكشف عن قدرته على تحليل الأقوال وتوجيهها، وبيان أوجه التمايز والائتلاف بينها. ولخشية الإطالة، سأعرض باختصار أبرز أوجه أهمية هذا المنهج في سدّ حاجة البشرية المستمرة إلى فهم النص القرآني في مختلف العصور:

١ - أذ تكمن أهميته في استيعاب الحاجة الملحة إلى تقييم الآراء التفسيرية والمقارنة بينها، وهي حاجة استمرت في كل عصر من العصور، منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وامتداداً إلى يومنا هذا. وتكثر هذه الحاجة وضوحاً كلما تباعدنا عن زمن الصحابة، وذلك لظهور اجتهادات وتوجهات جديدة في التفسير تُرافق متطلبات كل عصر، إذ إنّ القرآن الكريم قادر على إشباع هذه الحاجات البشرية جميعها، بتنوع مداركهم وتباين عصورهم؛ فكلُّ يجد فيه مجالاً للفهم

(١) دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: الدكتور أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، ط: ١،

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، (٤٥).

يناسب مستواه وظروفه.

- ٢ - وكلما تكاثرت الأوجه وتعددت الروايات، واجه طالب التفسير تشعباً في الأقوال والاتجاهات، فلا يعلم أيها أولى بالالتزام، وقد لا تحقق مطالعته لهذه الآراء عن نتيجة حازمة. وهنا تظهر أهمية هذا اللون التفسيري، بكونه منهجاً هادياً إلى القول الأقوى والاصوب، يُرتكز عليه من قبل مَنْ لم يبلغ درجة التمييز بين صحيح الأقوال وسقيمها.
- ٣ - فمن أبرز أهدافه: تصحيح المسار التفسيري، وضبطه بضوابط علمية منهجية محكمة، وتنقيته من الأقوال الضعيفة المبنية على أسس غير منضبطة علمياً.
- ٤ - وايضا لا تنحصر أهمية التفسير المقارن على مجرد الموازنة بين الأقوال، بل تمتد لتشمل تعريف الباحث بمناهج المفسرين في الاستدلال والترجيح، واستقراء أدلتهم، والوقوف على طرقهم في عرض الآراء، مما يُبرز مكانتهم العلمية، ويُثبت أنّهم ما فسّروا القرآن عن هوى، بل انطلقوا من حجج وبراهين علمية.
- ٥ - كما أنّ ضم الأقوال التفسيرية المتفرقة وحججها في سياق واحد، يُعدّ من فوائده، إذ يُسهل على المتخصصين والمهتمين علمياً الوقوف عليها، ويُعينهم على التأمل فيها بشكل متكامل ومنهجي.
- ٦ - يُحرز الباحث القدرة على التمحيص، والنظر الدقيق المُترن للأقوال، وفق منهجية تحليلية، تُتمي في الباحث الانصاف والموضوعية. وفي هذا السياق يقول الدكتور مصطفى المشني: «إنّ التفسير المقارن يُسهم في تنمية القوى العقلية والفكرية لدى الباحث في التفسير، ويُزوّد بفنون العلم والمعرفة، وقواعد المنطق السليم، وأساليب الحجاج، وفنون الحوار؛ ليمكن من تحقيق المقارنة الموضوعية، والوصول إلى نتائج صحيحة».
- ٧ - يعزز للباحثين بُعداً من الاثراء إلى ميدان الدراسات القرآنية، الذي ظلّ متأخراً نسبياً عن نظائره في سائر العلوم الشرعية في مجال الدراسات المقارنة.
- ٨ - يكمل هذا النوع من التفسير علم التفسير ذاته؛ إذ تقوم المقارنة في جوهرها على التحليل والفهم العميق للآراء المتعددة، وقد يُنتج هذا عن إظهار وجه جديد في تفسير الآيات، يُسفر عن قولاً لم يُسبق إليه^(١).

(١) ينظر: التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق: روضة عبد الكريم فرعون، بإشراف: أ. د فضل حسن عباس، ط: ١، دار النفائس - الأردن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، (٦٣ - ٦٤).

المبحث الثاني: منهج البحث في التفسير المقارن.

المطلب الأول: منهج التفسير المقارن

يهتم منهج هذا التفسير بدراسة أقوال المفسرين في مسألة معينة، بغض النظر عما اذا كانت آية أو موضوعاً في العقيدة أو الفقه أو اللغة، مع تحليل تلك المسألة من حيث منهجها و أسلوبها ودليلها. بهدف بيان الاختلافات التفسيرية، واعتماد القول الأقوى استناداً على قواعد الترجيح. ولا يضم هذا المنهج تحليل القرآن بشكل كلي، بل ينحصر في موضوعات محدّدة، مما يحول الى أداة مهمة لتوضيح مناهج المفسرين وإبراز سمات التميز والاختلاف بينهم، وسأعرض بإيجاز لأبرز خطوات هذا المنهج:

- ١ - تعيين موضوع الدراسة وتحديد غاياته ومقاصده: أول ما يتبادر به الباحث في هذا المنهج تحديد الموضوع بدقة، إما باختياره لآية أو طائفة من الآيات متعلقة بموضوع واحد، أو من ضمن المقارنة بين مناهج مفسرين أو أكثر، مع أشارته للمقاصد العلمية من الدراسة، والإلمام باتجاهات الموضوع الرئيسة تمهيداً للمعالجة التفسيرية.
- ٢ - تلخيص المادة التفسيرية من مصادر متعددة: يتولى الباحث جمع الأقوال التفسيرية المتعلقة بالموضوع من أئمة كتب التفسير، مع الحرص على تنوع المدارس التفسيرية، كالمأثور، والفقهي، واللغوي، والعقلي، والالتزام في توثيق كل قول بدقة علمية.
- ٣ - تنظيم وعرض للأقوال التفسيرية ومقارنتها: عقب الاطلاع على المادة، تُصنف الآراء التفسيرية تبعاً للمفسرين، إما حسب أصحابها، أو بحسب موضوعاتها، ثم تقدّم بطريقة مقارنة يبيّن بأوجه الاتفاق والاختلاف، دون تحييز الباحث أو موقفه في هذه المرحلة.
- ٤ - تمحيص الآراء واختيار الأقوى منها: يقوم الباحث تحليلاً علمياً للأقوال من خلال النظر في الأدلة المحيطة بها، وقيم مدى تعارضها أو توافقها، ثم يميل الى الرأي الأكثر قبولاً ودقة، باستناده على أسس الترجيح التفسيرية.
- ٥ - استخلاص النتائج والاستنتاجات العلمية: ينهي الباحث بحثه بخلاصة علمية مبينا فيها أهم النتائج التي توصل إليها، وموضحاً الأثر العلمي لمنهج المقارنة في التفسير في خدمة المعنى القرآني، والقاء رؤية متوازنة بين الأقوال التفسيرية^(١).

(١) ينظر: التفسير المقارن دراسة تأصيلية: الدكتور مصطفى ابراهيم المشني، مجلة الشريعة والقانون، ط: العدد ٢٦،

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م، (١٨٠ - ١٨٥).

المطلب الثاني: الفرق بين التفسير المقارن والتفسير الأخرى.

اشتهرت أساليب تفسير القرآن الكريم عبر العصور بتنوعها وتعدد مناهج المفسرين في طرق عرضها لمعاني واستنباط الدلالات، مما أسفر عن نشوء أشكال تفسيرية متعددة، وهي التفسير التحليلي والإجمالي والتفسير الموضوعي والتفسير المقارن.

ولا يمكن التفرقة بين هذه الأنواع من التفسيرات تفريقاً تاماً، إذ أن لكل منها مجالاً وأسلوباً و نتائجاً، وهذا الفرق بين التفسير المقارن والتفسير الأخرى يمكنني توضيحه من خلال ذكر تعريف كل منها على حدة و بإيجاز وأبرزها^(١):

أولاً: التفسير التحليلي:

يعد هذا القسم هو الغالب على التفسير، و يتجه المفسر بهذا الأسلوب إلى التحليل في الآية، فيبين سبب نزولها، وبيان غريبها، وإعراب مشكلها، وبيان مجملها... إلخ، ومن أمثلته: كتفسير ابن عطية و الألويسي والشوكاني وغيرهم.

ثانياً: التفسير الإجمالي:

يقصد المفسر بهذا الأسلوب إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل؛ كالإعراب واللغة والبلاغة والفوائد وغيرها.

ومن أمثلته: كتفسير الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ونجده أيضاً في تفسير لمفسرين عدة تحت عنوان «المعنى الإجمالي».

ثالثاً: التفسير الموضوعي:

يقوم هذا النوع من التفسير في دراسته على لفظة، أو جملة، أو موضوع في القرآن، وهو على أقسام: بأن يكون عرض الموضوع من خلال القرآن كله؛ كموضوع (صفات عباد الرحمن في القرآن). أو يكون عرض الموضوع من خلال سورة؛ كموضوع (الأخلاق الاجتماعية في سورة الحجرات). أو بأن يستعرض المفسر لفظة أو جملة قرآنية، و يبين معانيها في القرآن؛ كلفظة (الأمة في القرآن).

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، قدمه: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: ٢، ١٤٢٣هـ، (٣٢ - ٣٤).

رابعاً: التفسير المقارن:

يعمد المفسر بهذا الأسلوب إلى قولين في التفسير، ويقارن بينهما مع ترجيح ما يراه راجحاً. ومن أمثلته: تفسير ابن جرير الطبري، وغيره ممن يذكر أقوال المفسرين ويرجح بعضها على بعض^(١).

ومن خلال ما اطلعت عليه مسبقاً من معالم المنهج التفسيري لدى بعض المفسرين تبين لي وجود فروق منهجية واضحة بين المدارس التفسيرية، ويتضح كذلك من هذا التمييز بين التفسير المقارن وغيره من أنواع التفسير السابقة الذكر، أن الفارق لا يكمن فقط على المنهج والأسلوب، بل يتناول جوانب أعمق وأشمل تتعلق بأهداف البحث، وطرق المعالجة، ومستوى التحليل، مما يظهر خصوصية التفسير المقارن في مهارات التقييم والترجيح و سياق الدراسة العلمية، مما ينتج لهذا النوع من التفسير الذي أنا بصدد دراسته قيمة علمية مثمرة خاصة في الدراسات القرآنية المعاصرة.

(١) ينظر: فصول في أصول التفسير: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، قدمه: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: ٢، ١٤٢٣هـ، (٣٢ - ٣٤).

الخاتمة

الحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وأسأله سبحانه عز وجل حسن الثواب على ما وفقني فيه؛ فالفضل منه، وهو له، فهو الذي يوفق عبده للحسنة؛ ثم يأجر عليها، وهو أكرم الأكرمين؛ فالحمد له والشكر أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً و له الثناء الحسن والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين وصحبه وسلم. وبعد؛ وفي ختام بحثي هذا أود قول من وقف فيه على تقصير أو زلل أو خلل أو وجد فيه تغيير فليعذر الباحثة على ذلك؛ ويسعى في تصحيح ما يحتاج الى اصلاح متفضلاً، فالتقصير إنما هو من صفات البشر وليس الكمال والاحاطة بالعلم إلا لله تعالى وحده فهو الذي وسع كل شيء علماً وأحصى مخلوقاته عيناً واسماً.

وقد توصلت من خلال دراستي لهذا البحث، الذي أوضحت فيه مكانة علم التفسير في بيان معاني القرآن الكريم نحو منهج تفسيري مقارن وهو نوع من انواع هذا العلم العظيم الذي يفهم به مراد الله تعالى، و بيان منهج البحث في التفسير المقارن في الاختيار والترجيح من خلال دراسة مقارنة لطرق المفسرين ومناهجهم في تفسير آيات القرآن الكريم والفرق بين كل نوع من انواع التفسير ومقارنتها مع التفسير المقارن وتوصلت به الى النتائج التالية:

- ١ - سعت جاهدة في هذه الدراسة المتواضعة، و حرصتُ على الدقة والتحليل، فكان من نتائج ذلك ما توصلت إليه في بيان مفهوم التفسير المقارن، بهدف بيان الاختلافات التفسيرية ومدى اعتماد العلماء للأقوال الأقوى باستنادهم على قواعد ترجيحية وتفسيرية في هذا الفن.
- ٢ - فقد بينت أهمية التفسير المقارن ومدى حاجة الباحث لدراسة هذا اللون من التفاسير في المقارنة بين منهج علماء التفسير من خلال استخدامه لخطوات في دراسة منهج البحث فيه وتكمن في تحديد الموضوع، واختياره لآية أو طائفة من الآيات تتعلق بموضوع واحد، أو من ضمن مقارنته لمنهج مفسرين أو أكثر، مع أشارته للمقاصد العلمية من الدراسة، والإلمام باتجاهات الموضوع الرئيسة التي تمهد للمعالجة التفسيرية.
- ٣ - إن ما يختاره او يرجحه العالم او الباحث في القول من خلال دراسة شاملة لهذا المنهج لا يعني ان الرأي المخالف له خطأ، و إنما هي ليست الا اجتهادات و اراء تحتمل الصواب والخطأ.

- ٤ - أذ تكمن أهميته في استيعاب الحاجة الدائمة إلى تقييم الآراء التفسيرية والمقارنة بينها، وهي حاجة كثرت وما زالت في كل عصر من العصور، منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم، وامتدادًا إلى يومنا هذا. وتكثر هذه الحاجة كلما تباعدنا عن زمن الصحابة، وذلك لظهور اجتهادات العلماء المتعددة، وتوجهات جديدة في التفسير تُرافق متطلبات كل عصر.
- ٥ - وكلما تكاثرت الأوجه وتعددت الروايات، واجه طالب التفسير تشعبًا في الأقوال والاتجاهات، فلا يعلم أيها أولى بالالتزام، وقد لا تحقق مطالعته لهذه الآراء عن نتيجة حازمة. وهنا تظهر أهمية هذا اللون التفسيري، بكونه منهجًا هاديًا إلى القول الأقوى والاصوب، يُركز عليه من قبل مَنْ لم يبلغ درجة التمييز بين صحيح الأقوال وسقيمها.
- ٦ - فأن فائدته تكمن في تصحيح المسار التفسيري، وضبطه بضوابط علمية منهجية محكمة، وتنقيته من الأقوال الضعيفة المبنية على أسس غير منضبطة علميًا.
- ٧ - وايضا لا تنحصر أهمية التفسير المقارن على مجرد الموازنة بين الأقوال، بل تمتد لتشمل تعريف الباحث بمناهج المفسرين في الاستدلال والترجيح، واستقراء أدلتهم، والوقوف على طرقهم في عرض الآراء، مما يُبرز مكانتهم العلمية، ويُثبت أنهم ما فسروا القرآن عن هوى، بل انطلقوا من حجج وبراهين علمية منضبطة.
- ٨ - كما أن ضم الأقوال التفسيرية المتفرقة وحججها في سياق واحد، يُعدّ من فوائده، إذ يُسهل على المتخصصين والمهتمين علميًا الوقوف عليها، ويُعينهم على التأمل فيها بشكل متكامل ومنهجي.
- ٩ - اذ يعد هذا النوع من التفسير علم التفسير ذاته؛ إذ تقوم المقارنة في جوهرها على التحليل والفهم العميق للآراء المتعددة، وقد يُنتج هذا عن إظهار وجه جديد في تفسير الآيات، يُسفر عن قولاً لم يُسبق إليه.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه أجمعين. تم بحمد الله.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية، ط: ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.
 ٢. البحر المحيط في التفسير: أبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تح: صدقي محمد جميل، ط: ١، دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠هـ.
 ٣. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تح: محمد أبو الفضل إبراهيم [ت ١٤٠١هـ]، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.
 ٤. التفسير المقارن بين النظرية والتطبيق: روضة عبد الكريم فرعون، بإشراف: أ. د فضل حسن عباس، ط: ١، دار النفائس - الأردن، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.
 ٥. التفسير المقارن دراسة تأصيلية تطبيقية: محمود عقيل معروف العاني، تح: أصل الكتاب اطروحة دكتوراه في فلسفة أصول الدين تخصص (تفسير)، بإشراف: الدكتور عبد القادر ع بد الحميد، جامعة بغداد/كلية العلوم الاسلامية، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
 ٦. التفسير المقارن دراسة تأصيلية: الدكتور مصطفى إبراهيم المشني، مجلة الشريعة والقانون، ط: العدد ٢٦، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
 ٧. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم: للدكتورين أحمد السيد الكومي و محمد احمد يوسف القاسم، دار الهدى - القاهرة، ط: ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢.
 ٨. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، ط: ٤، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
 ٩. القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تح:

- مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط: ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
١٠. تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠ هـ)، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: ١، ٢٠٠١ م.
١١. دراسات في التفسير الموضوعي للقصص القرآني: الدكتور أحمد جمال العمري، مكتبة الخانجي، ط: ١، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
١٢. فصول في أصول التفسير: د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، قدمه: د. محمد بن صالح الفوزان، دار ابن الجوزي، ط: ٢، ١٤٢٣ هـ.
١٣. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠ هـ)، تح: د مهدي المنزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١٤. مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
١٥. مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط: ٣.
١٦. المعجم الوسيط: نخبة من اللغويين بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: ٢ [كُتِبَتْ مقدمتها ١٣٩٢ هـ = ١٩٧٢ م]، دار الدعوة بإستانبول، ودار الفكر ببيروت.